

اسْمُ اللَّهِ الرَّحِيمِ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ النَّاسَ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الرَّحِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وَقَدْ اقْتَرَنَ اسْمُ اللَّهِ الرَّحِيمِ بِالتَّوَابِ وَالْغُفُورِ وَالرَّؤُوفِ وَالْوَدُودِ، قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مَظَاهِرَ رَحْمَةِ اللَّهِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الأوَّل: مَا سَخَّرَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذَا الْكُونِ لِاسْتِمْرَارِ عَيْشِهِمْ، وَاسْتِقْرَارِ حَيَاتِهِمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الثَّانِي: مَا مَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي يَسَّرَتْ لَهُمْ كُلَّ عَسِيرٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وَرَحْمَةُ اللَّهِ بِنِعْمِهِ عَلَى عِبَادِهِ لَيْسَ لَهَا إِحْصَاءٌ وَلَا عَدٌّ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الثَّالِثُ: إِرسَالُ الرُّسُلِ، وَإِنزَالُ الْكُتُبِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

الرَّابِعُ: الْوَحْيُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾.

الخَامِسُ: مَا شَرَعَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْحُدُودِ وَالشَّرَائِعِ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

السَّادِسُ: قَبُولُ تَوْبَةِ عِبَادِهِ مَهْمَا وَقَعَ مِنْهُم مِّنَ الذُّنُوبِ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

السَّابِعُ: رَفْعُ الْحَرَجِ عَنِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَعَنْ أُمَّتِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

الثَّامِنُ: مَا يُقَدِّرُهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِبْتِلَاءَاتِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، إِلَىٰ أَنْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

التَّاسِعُ: رَحْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ بِإِصْلَاحِ ذُرِّيَّتِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ رَحْمَةَ الرَّحِيمِ خَزَائِنُ لَا تُحْصَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾. وَاللَّهُ تَعَالَى يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، وَهُوَ سُبْحَانَهُ ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وَلِنَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَسْبَابٌ، مِنْهَا:

الأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾.

الثَّانِي: طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

الثَّالِثُ: التَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

الرَّابِعُ: الإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

الخَامِسُ: الصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

السَّادِسُ: الإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّن فِي السَّمَاءِ». فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: جَاءَتْ نِسِي امْرَأَةً، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، فَسَأَلْتَنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ ابْتَلَىٰ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ».

قَالَ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «بَهْجَةِ قُلُوبِ الْأَبْرَارِ»: فَرَحْمَةُ الْعَبْدِ لِلْخَلْقِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَةُ اللَّهِ، الَّتِي مِنْ آثَارِهَا خَيْرَاتُ الدُّنْيَا، وَخَيْرَاتُ الْآخِرَةِ، وَفَقْدُهَا مِنْ أَكْبَرِ الْقَوَاطِعِ وَالْمَوَانِعِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ فِي غَايَةِ الضَّرُورَةِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، لَا يَسْتَعِينِي عَنْهَا طَرْفَةٌ عَيْنٍ، وَكُلُّ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَانْدِفَاعِ النِّقَمِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ... وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي فِي الْقُلُوبِ تَطْهَرُ آثَارُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ وَاللِّسَانِ، فِي السَّعْيِ فِي إِيْصَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَالْمَنَافِعِ إِلَى النَّاسِ، وَإِزَالَةِ الْأَضْرَارِ وَالْمَكَارِهِ عَنْهُمْ. وَعَلَامَةُ الرَّحْمَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ: أَنْ يَكُونَ مُجِبًّا لَوْصُولِ الْخَيْرِ لِكَافَّةِ الْخَلْقِ

عُمُومًا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ خُصُوصًا، كَارِهًا حُصُولَ الشَّرِّ وَالضَّرَرَ عَلَيْهِمْ. فَبِقَدْرِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَالْكَرَاهَةِ تَكُونُ رَحْمَتُهُ. أَمَّا مَنْ كَانَ بَعِيدًا عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْخَلْقِ، ظَلُومًا غَشُومًا شَقِيًّا، فَهَذَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْمَعَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِظُلْمِ عِبَادِهِ. اهـ

وَارْحَمِ بِقَلْبِكَ خَلْقَ اللَّهِ وَارْعَهُمْ فَإِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا

السَّابِعُ: الْإِسْتِمَاعُ وَالْإِنْصَاتُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

الثَّامِنُ: الْإِسْتِغْفَارُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

التَّاسِعُ: الْإِيْمَانُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

العَاشِرُ: إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، وَطَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

الْحَادِي عَشَرَ: السَّمَاخَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى».

الثَّانِي عَشَرَ: الرَّفْقُ بِالْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَرًّا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبُرَّ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ».